الشعر العربي فی العصر العباسي

الدكتور قادر قادري

امروزه کتاب‌خوانی و علم‌آموزی، نه تنها یک وظیفه‌ی ملی، که یک واجب دینی است.

مقام معظم رهبری

در عصر حاضر یکی از شاخصه‌های ارزیابی رشد، توسعه و پیشرفت فرهنگی هر کشوری میزان تولید کتاب، مطالعه و کتاب‌خوانی مردم آن مرز و بوم است. ایران اسلامی نیز از دیرباز تاکنون با داشتن تمدنی چندهزارساله و مراکز متعدد علمی، فرهنگی، کتابخانه‌های معتبر، علما و دانشمندان بزرگ با آثار ارزشمند تاریخی، سرآمد دولت‌ها و ملت‌های دیگر بوده و در عرصه‌ی فرهنگ و تمدن جهانی به‌سان خورشیدی تابناک همچنان می‌درخشد و با فرزندان نیک‌نهاد خویش هنرنمایی می‌کند. چه کسی است که در دنیا با دانشمندان فرزانه و نام‌آور ایرانی همچون ابوعلی سینا، ابوریحان بیرونی، فارابی، خوارزمی و ... همچنین شاعران برجسته‌ای نظیر فردوسی، سعدی، مولوی، حافظ و ... آشنا نباشد و در مقابل عظمت آنها سر تعظیم فرود نیاورد. تمامی این افتخارات ارزشمند، برگرفته از میزان عشق و علاقه فراوان ملت ما به فراگیری علم و دانش از طریق خواندن و مطالعه منابع و کتاب‌های گوناگون است. به شکرانه‌ی الهی، تاریخ و گذشته ما، همیشه درخشان و پربار است. ولی اکنون در این زمینه در چه جایگاهی قرار داریم؟ آمار و ارقام ارائه‌شده از سوی مجامع و سازمان‌های فرهنگی در مورد سرانه‌ی مطالعه‌ی هر ایرانی، برایمان چندان امیدوارکننده نمی‌باشد و رهبر معظم انقلاب اسلامی نیز از این وضعیت بارها اظهار گله و ناخشنودی نموده‌اند.

کتاب، دروازه‌ای به سوی گستره‌ی دانش و معرفت است و کتاب خوب، یکی از بهترین ابزارهای کمال بشری است. همه‌ی دستاوردهای بشر در سراسر عمر جهان، تا آنجا که قابل کتابت بوده است، در میان دست‌نوشته‌هایی است که انسان‌ها پدید آورده و می‌آورند. در این مجموعه‌ی بی‌نظیر، تعالیم الهی، درس‌های پیامبران به بشر، و همچنین علوم مختلفی است که سعادت بشر بدون آگاهی از آنها امکان‌پذیر نیست. کسی که با دنیای زیبا و زندگی‌بخش کتاب ارتباط ندارد بی‌شک از مهم‌ترین دستاورد انسانی و نیز از بیشترین معارف الهی و بشری محروم است. با این دیدگاه، به‌روشنی می‌توان ارزش و مفهوم رمزی عمیق در این حقیقت تاریخی را دریافت که اولین خطاب خداوند متعال به پیامبر گرامی اسلام(ص) این است که «بخوان!» و در اولین

سوره‌ای که بر آن فرستاده‌ی عظیم‌الشأن خداوند، فرود آمده، نام «قلم» به تجلیل یاد شده‌است: «إِقْرَأْ وَ رَبُّکَ الْاَکْرَمُ. اَلَّذی عَلَّمَ بِالْقَلَم» در اهمیت عنصر کتاب برای تکامل جامعه‌ی انسانی، همین بس که تمامی ادیان آسمانی و رجال بزرگ تاریخ بشری، از طریق کتاب جاودانه مانده‌اند.

دانشگاه پیام‌نور با گستره‌ی جغرافیایی ایران‌شمول خود با هدف آموزش برای همه، همه‌جا و همه‌وقت، به‌عنوان دانشگاهی کتاب‌محور در نظام آموزش عالی کشورمان، افتخار دارد جایگاه اندیشه‌سازی و خردورزی بخش عظیمی از جوانان جویای علم این مرز و بوم باشد. تلاش فراوانی در ایام طولانی فعالیت این دانشگاه انجام پذیرفته تا با بهره‌گیری از تجربه‌های گرانقدر استادان و صاحب‌نظران برجسته کشورمان، کتاب‌ها و منابع آموزشی درسی شاخص و خودآموز تولید شود. در آینده هم، این مهم با هدف ارتقای سطح علمی، روزآمدی و توجه بیشتر به نیازهای مخاطبان دانشگاه پیام‌نور با جدیت ادامه خواهد داشت. به‌طور قطع استفاده از نظرات استادان، صاحب‌نظران و دانشجویان محترم، ما را در انجام این وظیفه‌ی مهم و خطیر یاری‌رسان خواهد بود. پیشاپیش از تمامی عزیزانی که با نقد، تصحیح و پیشنهادهای خود ما را در انجام این وظیفه‌ی خطیر یاری می‌رسانند، سپاسگزاری می‌نماییم. لازم است از تمامی اندیشمندانی که تاکنون دانشگاه پیام‌نور را منزلگه اندیشه‌سازی خود دانسته و ما را در تولید کتاب و محتوای آموزشی درسی یاری نموده‌اند، صمیمانه قدردانی گردد. موفقیت و بهروزی تمامی دانشجویان و دانش‌پژوهان عزیز آرزوی همیشگی ما است.

دانشگاه پیام‌نور

فهرس الموضوعات

مقدمة الحادى عشر

الباب الأول: الموجز من تأريخ الأدب العربي في العصر العباسي ١
الفصل الأول: العصر العباسي الأول (للمطالعة) ٣
الأهداف المرجوّة ٣
١-١ المبحث الأول:وصول بني العباس إلى السلطة وأدوار خلافتهم ٣
١-٢ المبحث الثاني:الأوضاع الاجتماعية في العصر العباسي الأول ٥
١-٣ المبحث الثالث:الأوضاع الثقافية في العصر العباسي الأول ٦
١-٤ المبحث الرابع:الأوضاع الفكرية في العصر العباسي الأول ٧
١-٥ المبحث الخامس:الحياة الأدبية في العصر العباسي الأول ٨

الفصل الثاني: العصر العباسي الثاني (للمطالعة) ١١
الأهداف المرجوّة ١١
٢-١ المبحث الأول: أوضاع الأدب في العصر العباسي الثاني(٦٥٦-٣٣٤هـ) ١١
٢-١-١ أوضاع الأدب في ظل بني بويه ١٣
٢-١-٢ أوضاع الأدب في ظل السلاجقه ١٣
٢-١-٣ أوضاع الأدب في ظل الحمدانيين(٣١٧-٣٩٤) ١٤
٢-١-٤ أوضاع الأدب في ظل الفاطميين (٣٥٩-٥٥٦٧) ١٥
٢-١-٥ أوضاع الأدب في ظل الأيوبيين (٥٦٧-٥٦٤٨) ١٥
٢-٢ المبحث الثاني:نشأة الآداب القومية ١٦
٢-٣ المبحث الثالث:حركة الشعر في العصر العباسي ١٧
٢-٤ المبحث الرابع: بواكير التحول من الخضرمة إلى العباسية ٢٠
٢-٤-١ الطائفة الأولي ٢٠
٢-٤-٢ الطائفة الثانية ٢١
٢-٤-٣ الطائفة الثالثة ٢٢

الفصل الثالث: أغراض الشعر في العصر العباسي ٢٤
الأهداف المرجوّة ٢٤
٣-١ المبحث الأول:المديح ٢٤
٣-٢ المبحث الثاني: الهجاء ٢٥
٣-٣ المبحث الثالث: الرثاء ٢٦
٣-٤ المبحث الرابع: الغزل ٢٨
٣-٥ المبحث الخامس: الأغراض الأخرى ٢٩

الفصل الرابع: خصائص الشعر في العصر العباسي ٣٣
الأهداف المرجوّة ٣٣
٤-١ المبحث الأول: الإيغال في الوصف ٣٣
٤-٢ المبحث الثاني: غلبة الفكر الفلسفي والكلامي ٣٨
٤-٣ المبحث الثالث: التغيير في الأوزان والأساليب ٣٩
٤-٤ المبحث الرابع: غلبة الصنعة ٤٠

الفصل الخامس: الأغراض الجديدة للشعر في العصر العباسي ٤٢
الأهداف المرجوّة ٤٢
٥-١ المبحث الأول: المديح والمضامين الجديدة التي أضافها الشعراءُ إليه ٤٢
٥-١-١ المعاني الإسلامية ٤٣
٥-١-٢ التجديد في مطلع القصيدة ٤٤
٥-١-٣ المناسبة بين الممدوح وما يُمدح به ٤٤
٥-١-٤ اختيار الأوزان القصيرة والأساليب الخفيفة ٤٧
٥-١-٥ مدح المدن ٤٧
٥-٢ المبحث الثاني:الرثاء والمضامين الجديدة التي أضافها الشعراء إليه ٤٨
٥-٢-١ رثاء المدن ٤٨
٥-٢-٢ رثاء الحيوانات ٤٩
٥-٢-٣ رثاء الزوجة ٥٠
٥-٢-٤ رثاء الجواري والغلمان ٥٢
٥-٢-٥ رثاء العلماء والأدباء ٥٣
٥-٢-٦ رثاء الأصدقاء ٥٣
٥-٣ المبحث الثالث: الهجاء ٥٤
٥-٤ المبحث الرابع: الشعر التعليمي ٥٥
٥-٥ المبحث الخامس: الوصف ٥٦
٥-٥-١ وصف القصور والمباني ٥٦
٥-٥-٢ وصف مظاهر الحياة ٥٧
٥-٦ المبحث السادس: الزهد ٥٨

الأسئلة ذات الخيارت الأربعة ٦٠
الإجابات الصحيحة ٦١

الباب الثاني: أبرز شعراء العصر العباسي ومختارات من أشعارهم ٦٣
الأهداف العامة ٦٣
الأهداف المرجوّة ٦٣
الفصل الأول. بشّار بن برد (٩٦-١٦٨هـ)[شاعر الخمر والمجون] ٦٥
٢-١ بشّار بن برد (٩٦-١٦٨هـ)[شاعر الخمر والمجون] ٦٥
٢-١-١ حياته ونشأته ٦٥
٢-١-٢ مميّزاتُ شعره ٦٦
٢-١-٣ شعره في الحكمة ٦٦
٢-١-٤ شعره في الغزل ٦٨
٢-١-٥ شعره في المدح ٧٠
٢-١-٦ شعره في العتاب ٧٤
٢-١-٧ شعره في الهجاء ٧٧
٢-١-٨ شعره في الوصف ٨٠
٢-١-٩ شعره في الفخر ٨١

الفصل الثانى. أبوالعَتاهِيَة (١٣٠-٢١١هـ)[شاعر الزّهد والتصوّف] ٨٨
٢-٢ أبوالعَتاهِيَة (١٣٠-٢١١هـ)[شاعر الزّهد والتصوّف] ٨٨
٢-٢-١ حياته ونشأته ٨٨
٢-٢-٢ أدبه وشعره ٨٩
٢-٢-٣ اتصاله بالخلفاء ٩١
٢-٢-٤ بين المجون والزهد ٩٢
٢-٢-٥ بوادر زُهد أبي العتاهية، وسببُ اتّجاهه إلى التصوف ٩٤

الفصل الثالث. أبو نواس (١٣٩-١٩٩هـ) [شاعر الخمر والنساء] ١٠٤
٢-٣ أبو نواس (١٣٩-١٩٩هـ) [شاعر الخمر والنساء] ١٠٤
٢-٣-١ حياته ونشأته ١٠٤
٢-٣-٢ الأغراض الشعرية لدى أبي نواس ١٠٥
٢-٣-٣ أبو نواس وحبُّه لِـ«جِنان» ١١٤
٢-٣-٤ أبو نواس وتوبته: ١١٥

الفصل الرابع. أبو تمّام (١٨٨-٢٣١هـ)[الشاعر الفيلسوف والفيلسوف الشاعر] ١١٦
٢-٤ أبو تمّام (١٨٨-٢٣١هـ)[الشاعر الفيلسوف والفيلسوف الشاعر] ١١٦
٢-٤-١ حياته ونشأته ١١٦
٢-٤-٢ أبو تمّام شاعر المدح ١١٧

الفصل الخامس. البحتري (٢٠٥-٢٨٥هـ)[شاعر الخيال الخصب] **١٢٩**
٢-٥ البحتري (٢٠٥-٢٨٥هـ)[شاعر الخيال الخصب] ١٢٩
٢-٥-١ حياته ونشأته ١٢٩
٢-٥-٢ شعره في الرّثاء ١٣٠
٢-٥-٣ شعره في الفخر ١٣١
٢-٥-٤ شعره في الغزل ١٣٢
٢-٥-٥ شعره في الهجاء ١٣٤
٢-٥-٦ شعره في الوصف ١٣٦
٢-٥-٧ شعره في المدح ١٤٣

الفصل السادس. ابن المعتز (٢٤٧-٢٩٦هـ)[الشاعر الناقد] **١٤٨**
٢-٦ ابن المعتز (٢٤٧-٢٩٦هـ)[الشاعر الناقد] ١٤٨
٢-٦-١ حياته ونشأته ١٤٨
٢-٦-٢ الأغراض الشعرية لدى ابن المعتزّ ١٤٩

الفصل السابع. دعبل الخزاعي (١٤٨-٢٤٦هـ)[شاعر المدح والرثاء] **١٥٦**
٢-٧ دعبل الخزاعي (١٤٨-٢٤٦هـ)[شاعر المدح والرثاء] ١٥٦
٢-٧-١ حياته ونشأته ١٥٦
٢-٧-٢ أدبه وثقافته ١٥٦
٢-٧-٣ دعبل شاعر الرثاء ١٥٧
٢-٧-٤ دعبل شاعر الخمر ١٦٠
٢-٧-٥ دعبل شاعر الحكمة ١٦١
٢-٧-٦ دعبل شاعر الفخر ١٦١
٢-٧-٧ دعبل شاعر الغزل ١٦٤
٢-٧-٨ دعبل شاعر الهجاء ١٦٤

الفصل الثامن. المتنبي (٣٠٣-٣٥٤هـ)[شاعر الشعراء] **١٦٧**
٢-٨ المتنبي (٣٠٣-٣٥٤هـ)[شاعر الشعراء] ١٦٧
٢-٨-١ حياته ونشأته ١٦٧
٢-٨-٢ شاعريته ١٦٨
٢-٨-٣ الأغراض الشعرية لدى المتنبّي ١٦٩

الفصل التاسع. أبو العلاء المعري (٣٦٣-٤٤٩هـ)[الشاعر المتشائم] **١٨٨**
٢-٩ أبو العلاء المعري (٣٦٣-٤٤٩هـ)[الشاعر المتشائم] ١٨٨
٢-٩-١ حياته ونشأته ١٨٨

٢-٩-٢ أدبه وثقافته ١٨٩
٢-٩-٣ الأغراض الشّعرية لدى أبي العلاء: ١٨٩

الفصل العاشر. أبو فراس الحمداني (٣٥٧-٣٢٠هـ)[الفارس الأسير] ٢٠٩
٢-١٠ أبو فراس الحمداني (٣٥٧-٣٢٠هـ)[الفارس الأسير] ٢٠٩
٢-١٠-١ حياته ونشأته ٢٠٩
٢-١٠-٢ شاعريّة أبي فراس ٢١٠
٢-١٠-٣ الأغراض الشعرية لدى أبي فراس: ٢١١

الفصل الحادى عشر. الشريف الرضي (٤٠٦-٣٥٩هـ)[نقيب الطالبيين] ٢٢٧
٢-١١ الشريف الرضي (٤٠٦-٣٥٩هـ)[نقيب الطالبيين] ٢٢٧
٢-١١-١ حياته ونشأته ٢٢٧
٢-١١-٢ مؤلّفاته ٢٢٨
٢-١١-٣ شعره وثقافته ٢٢٩
٢-١١-٤ أغراض شعره ٢٣٠

الأسئلة ذات الخيارات الأربعة ٢٤٥
الأجوبة الصحيحة ٢٥٧
المصادر والمراجع ٢٥٩

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الأطهار، وأصحابه المنتجبين الأخيار.

أما بعد:

هذه دراسة في الأدب العباسي أقدِّمها لطلاب الماجستير في جامعة «پيام نور» وقد راجعتُ فيها أمهات الكتب، والدراسات الحديثة، وحرصتُ على ذكر النماذج الدالة المعبِّرة لتبيين الأصالة، والقوة في تراثنا الأدبي، لتكون عونا لتذوّقه، والإلمام بما فيه من صدق، وجمال، وإبداع.

لا شك أن الأدب العربي في العصر العباسي يُعتَبرُ ثروة لغوية، وأدبية، وفكرية، تصور البيئة العربية، وأحداثها، وظروفها السياسية، والاجتماعية، وفي الوقت نفسه تمثّل شاعرية شعراء العباسيين، وعاطفتهم، وعقائدهم، وأصالتهم، وأفكارهم.

ولم يزلالأدب العباسي دعامة للحضارة العربية الأصيلة، ومَعينا لتراثها الفكري والأدبي. ويدرك دارس الأدب العربي مدى أصالة الأدب العباسي، وما يحمل من أفكار خصبة، ومُثُلٍ إنسانية رفيعة، وقدرة فائقة على التصوير، والتعبير في كل مجالات الحياة.

ودراستُنا هذه تتناول حركة الأدب العربي في العصر العباسي الممتد على ما يربو على خمسة قرون وربع قرن، وهي مرحلة زمنية طويلة عامرة بالنشاط الأدبي والنقدي والإبداعي، بحيث تصعب الإحاطة بكل جوانبها الأدبية وخصوصياتها الفنية، فهو عصر الإبداع والتجديد والتميز في كل مجالات المعرفة الإنسانية دينية وعلمية وتاريخية وفلسفية، عرفت فيه الحضارة العربية الإسلامية أزهى مراحلها وأكثرها رقيا وازدهارا وعُدَّ بحقٍ العصرَ الذهبي للعالم الإسلامي كله.

وقد واكب هذه النهضة الشاملة نشاطٌ أدبيٌ متنوعٌ سايرَ ملابسات المجتمع العباسي الاجتماعية والسياسية والثقافية وتجاوب مع كل بيئاته وشارك كل طبقاته وهمومها، وكان مرآة عاكسة للعصر معبراً عن مظاهر الحياة فيه ملفتاً إلى كل دقائقها وتفاصيلها حتى لنخال أدباءها كُتّاباً وشعراءها آلات تصوير لاقطة تنقل أدق مشاهده ولا تكتفي برسم المشهد وإنما تبدي الموقف النقدي من كل ماتقع عليه.

ونظراً للامتداد الزمني والجغرافي والإبداعي لهذه المرحلة الهامة في تاريخ الأدب العربي فقد حاولتُ في هذا الكتاب الإلمام بالمشهد العام للحركة الأدبية التي عرفت قفزة نوعية وتنافساً جميلا بين الشعراء أنفسهم وبينهم وبين كُتّاب العصر وكان لذلك كله أثره في إثراء النص الأدبي العباسي شكلا ومضمونا.وركّزت على أهم مظاهر التجديد فيه وعلى أهم قضاياه الفنية والفكرية، ثمّ تطرّقتُ إلى أبرز شعراء هذه الفترة الطويلة، واقتطفت أشهَرَ قصائدهم وأغراضهم الشعرية.

كما تناولتُ الشعرَ العربي في العصر العباسي، وألقيتُ الضوءَ على بعض ملامح الأدب في هذه الحقبة الحساسة، وعناصره، وأصوله، وألوانه، وأفكاره، وأغراضه، بالدراسة والتحليل، كما تعرَّضتُ لأهمّ سِماته، وخصائصه، وميزاته، وتطرَّقتُ إلى أشهر شعرائه، مع ذِكر أهمِّ قصائدهم شرحاً، وتوضيحاً.

لذلك أهيب بطلابنا الأعزاء أن ينهلوا من مورد هذا الأدب الخالد، فهو سِجِلٌّ جامع للتاريخ العربي، ومَعين لا ينضب للغة العربية؛ لغة القرآن الكريم، بكل ما فيها من الجمال في التصوير، والإبداع في الخيال، والتعبير.

وبما أنّ الفصلين الأول والثاني من الباب الأول غير مقرّرين ضمن المنهج الدراسي لجامعة پيام نور - رغم توافقهما مع المقررات الدراسية لوزارة التعليم العالي - فقد خصّصناهما للمطالعة، وبهذا يكونان غير مشمولين بأسئلة نهاية الفصل.

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به، إنّه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

الدكتور قادر قادري

الباب الأول

الموجز من تأريخ الأدب العربي في العصر العباسي

الفصل الأول

العصر العباسي الأول
(للمطالعة)

الأهداف المرجوّة

نَتَوَقَّعُ من الطلبة الأعزاء بعد قراءة هذا الفصل ودراسته التعرُّفَ على:

١. كيفية وصول بني العباس إلى السلطة.
٢. ميزات الخلافة العباسية في فترتها الأولى.
٣. الأوضاع الاجتماعية في العصر العباسي الأول.
٤. الأوضاع الثقافية في العصر العباسي الأول.
٥. الأوضاع الفكرية في العصر العباسي الأول.
٦. الحياة الأدبية في العصر العباسي الأول.

١-١ المبحث الأول:وصول بنيالعباس إلى السلطة وأدوار خلافتهم

تمكّن بنو العباس عام ١٣٢هـ من بسط نفوذهم على رقعة الخلافة الأموية شرقاً وغرباً وحوّلوا العاصمة السياسية من دمشق إلى الكوفة ثم إلى بغداد التي بناها أبو جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس وظلّت حاضرة الإسلام الأولى إلى أن سقطت في يد التتار سنة ٦٥٦هـ(شوقي ضيف، ٢٠٠٤، صص١٦-١٤).ونظراً للظروف المتباينة التي عرفها العصر العباسي فقد قسّمه المؤرِّخون إلى مرحلتين حتى يتمكّن الدارس من حصرها وملاحظة أحداثها.

تميّزت الفترة الأولى من هذا العصر بقوة الخلافة ومجد الدولة، فقد ثبتت قواعد الدولة على يدي أبي جعفر المنصور وامتدّ نفوذها في أيام المهدي وتألقت حضارتها

وعظمت هيبتها أيام هارون الرشيد والمأمون، أما المعتصم فتوالت في عهده الانتصارات العسكرية واستمر ذلك إلى عصر الواثق والمتوكل.وفي ظل هؤلاء الخلفاء غلب نفوذ العنصر الفارسي وإن بقي الرأي الأعلى والكلمة النافذة للخليفة العباسي وربما أوجس الخليفة خيفة من معاونيه فبطش بهم؛ مثلما فعل السفاح بأبي مسلم الخراساني (الزركلي، ٢٠٠٢، ج٢، ص٢٦٤)، والرشيد بالبرامكة (الإتليدي، ٢٠٠٤، ص١٨٢)، والمأمون بنصر بن شبث (الزركلي، ٢٠٠٢، ج٨، ص١٩٩)، وهذا لا يعني ضعف شوكتهم، فقد ظلّ منصب الوزارة وقفاً عليهم وجعلوا قصور الخلفاء أشبه بقصور الأكاسرة كما نسقوا الدواوين ووضعوا أساليب الحرب ونُظُم الحكم؛ فنحن نجد ديوان البريد (الطبري، ١٣٨٧، ج٩، ص٣٤٤) الذي كان يراقب تصرف الولاة في الأقاليم الكبرى، ونجد ديوان التوقيع (ابن العمراني، ٢٠٠١، ص٢٨٢) وكان يقوم بالنظر في مظالم الناس وشكاواهم، ونجد ديوان الضياع (الطبري، ١٣٨٧، ج٩، ص٢١٤) وكان يتولى النظر في ضياع الخلفاء وأملاكهم، ونجد ديوان الخواص (المقريزي، ١٤١٨، ج٣، ص٣٤٣) وكان ينظر في حسابات الخاصة والخدم، ونجد ديوان الضرب (نفس المصدر، ج٢، ص٢٨٢) وكان يتولى ضرب النقود، كما نجد ديوان الجيش، وديوان بيت المال وغيرها من الدواوين.

وإن امتاز عصر المعتصم بالقوة (ابن الأثير، ١٤١٧، ج٦، ص٥، واليعقوبي، ١٤٢٢، ج٣، ص١٩٧) فإنّ من جاء بعده من الخلفاء ولاسيما المتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز ومن بعدهم امتازوا بالضعف، وذلك لنفوذ العنصر التركي في هذه الفترة الثانية من العصر العباسي الأول.وكانت بداية العنصر التركي بالمعتصم، ويبدو أنّ المعتصم لجأ إلى الترك لفقده الثقة في الفرس، والفرس فقد اتضح أنهم ينوون الاستبداد بالسلطة، وقد نكل بهم الخلفاء العباسيون؛ بداية بأبي سلمة الخلال فأبي مسلم الخراساني والبرامكة والفضل بن سهل وغيرهم.لكل هذا اضطر المعتصم أن يبحث عن عنصر جديد فكان العنصر التركي.ولم يدر أنه بذلك التصرف وقع وأوقع أولاده والدولة الإسلامية في شر مرير، حيث وضع أمور الدولة في أيدي هؤلاء الأوغاد الطغاة» (العسيري، ١٩٩٦، ص١٩٢).

فاستخدم المعتصمُ الأتراكَ بكثرة حتى ازداد أذاهم، وضاقت بها بغداد وعرفت صراعات بينهم وبين العنصر الفارسي واضطر المعتصم أن يبنى لهم مدينة «سامراء» على شاطيء دجلة وجعلها حاضرة ملكه عام ٢٢١هـ، ثم تطاول الأتراك وأخذوا يعتدون على قدسية الخلافة وجلال الخلفاء ويتعرضون للناس بالنهب والاعتداء والتقتيل فأصبح الخليفة بعد المتوكل أشبه بأسير في أيدي أولئك الغلمان.وفي ذلك يقول أحد الشعراء:

خَلِيفَةٌ فِي قَفَصٍ بيْنَ وَصِيفٍ وبُغَا[1]
يَقُولُ مَا قَالاَ لَهُ كَمَا تقُولُ البَبَّغا

(العصامي، ١٩٩٨، ج٣، ص٤٧٣)

واجترأ الأتراك على قتل الخلفاء وسمل أعينهم وعزلهم وتعذيبهم وسجنهم؛ فقتلوا المتوكل وخلعوا المستعين وعذبوا المعتز وقتلوا المهتدي حتى قال بعضُ شعراء هذا العصر:

خُلِعَ الْخَلِيفَةُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَسَيُقْتَلُ التَّالِي لَهُ أَوْ يُخْلَعُ
وَيَزُولُ مُلْكُ بَنِي أَبِيهِ وَلَا يُرَى أَحَدٌ تَمَلَّكَ مِنْهُمُ يَسْتَمْتِعُ
إِيهًا بَنِي الْعَبَّاسِ إِنَّ سَبِيلَكُمْ فِي قَتْلِ أَعْبُدِكُمْ سَبِيلٌ مَهْيَعُ
رَقَّعْتُمُ دُنْيَاكُمْ فَتَمَزَّقَتْ بِكُمُ الْحَيَاةُ تَمَزُّقًا لَا يُرْقَعُ

(ابن الأثير، ١٩٩٧، ج٦، ص٢٣٤)

وبسبب ما أصاب الدولة من ضعف، ظهرت في أطراف الخلافة أُسَيَرٌ سياسيةٌ مناوئةٌ كانت إرهاصاً للدويلات المستقله التي ازدهرت في العصر العباسي الثاني، ففي عهد المعتز ظهرت الدولة الصفارية، وفي خلافة المعتمد خرج الزنج (ابن العمراني، ٢٠٠١، صص٥١-٥٠)، واستقل بنو حمدان بالموصل في خلافة المعتضد، وقامت الدولة الفاطمية بإفريقية في خلافة المقتدر، وبرز بنو بويه في بلاد فارس في خلافة القاهر (الصَّلاَّبي، ٢٠٠٩، ص٢١٨).

١-٢ المبحث الثاني:الأوضاع الاجتماعية في العصر العباسي الأول

أما إذا جئنا إلى الحياة الاجتماعية فقد كانت تابعة للحياة الاقتصادية المضطربة حيث انتشر نظام إقطاع الأراضي مكافأة أو هبة للمقربين لدى الخلفاء والوزراء وكثرت ثروات الخلفاء ومن والاهم من وزراء وأمراءِ وتنافسوا في الترف وبدا فرق كبير بين طبقة الخاصة والعامة،

١. «وصيف وبُغا»: أميران مشهوران من أمراء العسكر في هذه الفترة من الخلافة العباسية.

ومن مظاهر ذلك الثراء الفاحش للقلة، كثرة الرقيق وكثرة نسل الجواري واختلاط المجتمع بأجناس شتي من عرب وفرس وأتراك ورومان وهنود وبربر وزنوج وغيرها، فكان من نتائج كل ذلك تفشي الانحلال الخلقي وظهور العادات المخالفة لعادات المجتمع العربي الإسلامي.

ولضيق أبواب الرزق على الكثير اتخذ بعضهم السؤال حرفة يقتات منها وقد صوّر أبو العتاهية حياة الفقر تصويرا دقيقا من ذلك وصفه للغلاء وحال الفقراء إذ يقول:

مَنْ مُبلِغٌ عَنّي الإمَا مَ نَصَائِحاً مُتَوَالِيَهْ؟
إنِّي أَرَى الأَسعَارَ أَسـ ـعَارَ الرَّعِيَّةِ، غَالِيَهْ
وأَرَى المَكاسِبَ نَزْرَةً وأرَى الضَّرُورَةَ فَاشِيَهْ
وأَرَى اليَتَامَى واَلأَرا مِلَ في البيوتِ الخالِيَهْ
مِن بَيْنِ رَاجٍ لَم يَزَلْ يَسْمُو إليكَ وَرَاجِيَهْ
يَرْجُونَ رِفْدَكَ كَيْ يَرَوْا مِمَّا لَقَوْهُ العَافِيَهْ
مَنْ يُرْتَجَى لِلنّاسِ غَيْـ ـرُكَ للعُيونِ الباكِيَهْ؟
مَن لِلبُطُونِ الجَائِعَا تِ ولِلجُسُومِ العَارِيَهْ؟
يَا ابْنَ الخَلائِفِ لا فُقِدْ تَ، ولا عَدِمتَ العَافِيَهْ
إنَّ الأُصُولَ الطَّيِّبَا تِ لَهَا فُروعٌ زاكِيَهْ
أَلْقيتُ أَخبَاراً إلَيـ ـكَ، مِنَ الرَّعِيَّةِ شَافِيَهْ

(شكري، ١٩٦٥، صص٤٤٠-٤٣٩)

١-٣ المبحث الثالث:الأوضاع الثقافية في العصر العباسي الأول

أما الحياة الثقافية فتبعاً لتنوّع الحياة الاجتماعية إلى خاصة وعامة، وفقراء وأغنياء، ونساك ولاهين مجان، كانت البلاد معرّضةً للنحل، حيث تتعارض فيها تيارات متناقضة ودعوات سرِّية كثيرة قادتها مجموعة أظهرت الاسلام وأبطنت غيره وراحت تلصق به ما ليس فيه من خرافات. وكان أن نشط لكفّ أضاليلها جماعة من علماء المسلمين تميز الصحيحَ من

الفاسد، وفي تلك الأثناء ظهر التدوين والتأليف. وكما تعددت المذاهب المعادية للاسلام تعددت الاتجاهات الإسلامية؛ فكان السُّنِّي والخارجيُّ والشِّيعيُّ وظهرت فرق كثيرة: معتزلة، مرجئة وقدرية قامت بينها مناظرات كثيرة لاسيَّما بين المعتزلة والسنة أثمرت بظهور أبي الحسن الأشعري الذي حاول التوفيق بين المنقول والمعقول وجمع أهل السُّنّة على رأي صحيح (شوقي، ٢٠٠٤، صص١٣٧-٨٩).

وهكذا عاش الناس في امتزاج بين مختلف الأجناس وصراع بين المذاهب والأراء، بين العرب والعجم، بين الزندقة والإيمان، بين الفقر والغنى، بين الجدّ واللهو، وكان لذلك كلّه صداه في أدباء وشعراء هذا العصر.ولعل كتابات الجاحظ أكبر نموذج على ذلك.

١-٤ المبحث الرابع:الأوضاع الفكرية في العصر العباسي الأول

أما الحياة الفكرية فقد عرفت ازدهاراً كبيرا وتلاقت في الحواضر الإسلامية ثقافات الشعوب التي دخلت الإسلام، وراح الخلفاء يشجعون الحركة العلمية ويرعونها ويبالغون في إكرام العلماء والأدباء وتقريبهم إليهم، وأصبح العلم والأدب أداة المناصب العالية والجاه والنفوذ، ويتنافس العظماء في تكريم النبغاء وإنشاء دور العلم وتمويل حركة الترجمة إلى العربية، وإن كانت الثقافة العربية هي الذائعة، وقوامها علوم الدين واللغة والأدب، فإن الثقافة الفارسية أوجدت لنفسها مكانا إلى جانبها نظراً لنفوذ العنصر الفارسي، كما دخلت الثقافة اليونانية على الفكر الإسلامي باختلاط العرب باليونان وخاصة في الشام، حيث راح الخلفاء يشجعون على ترجمة كتب الطب والفلسفة والنجوم، وكان على رأسهم المنصور ثم الرشيد منشيء بيت الحكمة الذي نقلت إليه الكتب عن البلاد المفتوحة، وتلاه المأمون الذي أوفد الرسل إلى الروم لجلب علومهم، وعيّن سهل بن هارون مشرفا على بيت الحكمة التي امتلأت بالكتب المهداة من ملك الروم وجزيرة قبرص. كما اتصلت الثقافة الهندية بالفكر العربي وقد تفاعلت هذه الثقافات في العاصمة بغداد وكان لها صداها لاسيما في طبقة المتكلمين (**نفس المصدر، صص١٣٧-٨٩**).

وتعدّدت مراكز الحياة العقلية في هذا العصر؛ فنشطت الدراسات الدينية في مصر، وتفوقت الشام في الشعر والآداب، وكان للعراق، الصدارة في الفلسفة والعلم واللغة، وأصبحت بغداد والبصرة من أهم مراكز البحث العلمي، واشتهرت بلخ وأصفهان بالثقافة.فقد كان العصر حافلا بالعلوم وبالفلاسفة والمفكرين والشعراء والعلماء والكُتّاب وصارت العلوم المترجمة شرطاً في تكوين ثقافة الكاتب والأديب، حتى رأينا ابن قتيبة في

مقدمة أدب الكاتب يثور على حال عصره حيث أقبل الناس على المنطق والفلسفه وأهملوا علوم الدين (ابن قتيبة، ١٩٨٨، صص١١-١٠).

وفي العصر العباسي الأول نبغ عدد من أعلام العصر في التشريع، نذكر منهم على سبيل المثال (مالك ١٧٩هـ-الشافعي ٢٠٤هـ-أحمد بن حنبل٢٤٠ هـ) وفي العلم (الواقدي ٢٠٧هـ -الزهري٢٣٠هـ - ابن السماك ١٧٣هـ) وفي التصوف (إبراهيم بن أدهم ١٦٢هـ - صالح المرّي واعظ البصرة ١٧٢هـ- رابعة العدوية ١٩٠هـ- ذوالنون المصري ٢٤٥ه)، وفي علوم اللغة والأدب نجد (المفضل الضبي ١٧٨هـ - الخليل بن أحمد١٠٠هـ - سيبويه ١٨٨هـ - الأصمعي ٢١٦هـ - ابن الأعرابي ١٥٠هـ- ابن السكيت ٢٤٤هـ - المبرد ٢٨٥هـ)، وفي علم الكلام برز المعتزلة وعلى رأسهم (بشر بن المعتمر ٢١٠هـ - النظام ٢٢٣هـ - ابن ابي دؤاد ٢٤٠هـ - الجاحظ ٢٥٥هـ) وفي الفلسفة نجد (الكندي ٢٥٢هـ - وحنين بن اسحاق ٢٦٠هـ - وثابت بن قرة ٢٨٨هـ) وغير هؤلاء كثير.

١-٥ المبحث الخامس:الحياة الأدبية في العصر العباسي الأول

إنّ تفاعل الحياة الاجتماعية والفكرية مع تيار الثقافات المترجمة كان أثرها في الحياة الأدبية متفاوتا حيث ظلت مناهج الأداء ولغة الكتابة والشعر قريبة مما كانت عليه، بينما تطورت معاني الكتاب وخيالات الشعراء متأثرة في ذلك بما ترجم من فلسفة اليونان ومنطقهم، حيث اصطبغت عقلية الأدباء بها ومالت إلى الجدل والتحليل والتعليل وكثرة التقسيمات. ولذلك عرف العصر أدباً عربيا فيه معاني الفرس وبلاغة العرب، فكثير من أدباء وكُتّاب العصر يعودون إلى أصول أعجمية وإن تربّوا في البيئة العربية. ونظراً للترف الذي عرفته بعض الطبقات الاجتماعية المقربة من البلاط الحاكم ظهر التأنق في النثر والشعر، ومال الشعراء إلى الرقة والدماثه، كما كثرت فيه الحِكَمُ والقصص، وظهرت المؤلفات الجامعة كالبيان والتبيين والحيوان، وفيه أصبح الأدب صناعة علمية تغلب عليها سعة الخيال وكثرة البراهين العقلية والأمثال والمبالغات.

وكان لظهور الموالي وعلوّ منزلتهم أن برز الشعور القوميُّ وتطوّر إلى حركة شعوبية صريحة أخذ أعلامُها من الشعراء والكُتّاب جهاراً يتتبعون مثالب العرب، وينسبون لهم من المخازي ما ليس لهم في أشعارهم ومؤلفاتهم، أمثال بشار بن برد، والخزيمي وأبي نواس وأبي عبيده والهيثم بن عدي وسعيد بن حميد وعلّان الشعوبي، وقد انبرى للرد على هؤلاء نخبة من الشعراء والكُتّاب كالجاحظ وابن قتيبة ومحمد بن يزيد المبرد.وإن ازدهر الشعر وبعض فنون النثر

فإنّ الخطابة ضعفت بزوال أسبابها وعجمة رجال الدولة وصار في الكتابة غنى عن الخطابة حيث احتلت الرسائل منزلة عالية وتفوّق الكُتّاب ونافسوا فحولَ الشعراء ونبغ منهم جمهور كبير.

وأثرُ الفرس في الأدب العربي كبير؛ فهم الذين أشاعوا فيه اللهو والمجون، ووصف الخمر والتغني بها، والغزل بالمذكر، ومن الفرس كان كبار أوائل الكتاب الواضعين لأسس صناعة الانشاء. وقد مكن للأدباء انغماسهم في ما راج من مدنية بلهوها الخليع ومجونها السافر من تصوير الحياة في جميع جوانبها.وملئوا شعرهم بالتحريض على متع الحياة. وبالمقابل يقف تيار الزهد للحد من سطوة تلك الحركة المادية الجارفة.أما الحياة القاسية الشقية وشظف العيش فقد وجد فنّ المقامات أداة لتصويره، واتخذ منها الكادحون وسيلة يحتالون بها على العيش بالمكر والخداع كما رسم ملامحها الشعراء الذين لم تتح لهم فرص الارتقاء إلى البلاط.وقد عرف الشعر العباسي تيارين؛ لكل منهما خصائصه ومميزاته:

- تيار الشعر البدوي بما يشتمل عليه من خصائص.
- تيار الشعر الحضري بما يحمله من سمات وخصائص.

كما تميز العصر بعناية الخلفاء الفائقة بالشعر والشعراء إذ كان الخلفاء والأمراء يحرصون على رواية الشعر وإحيائه، ويهتزّون لسماع الجيّد منه ويرتاحون للرائع منه، ولا يرون حرجاً في مكافأة الشعراء المبدعين والإغداق عليهم وإغراقهم بالمنح والهبات حتى تجاوزت آمالهم التكسبَّ بالشعر للعيش إلى طلب الثراء الواسع واختزان الأموال والغرق في البذخ والنعيم، حتى رأيناهم يضاهون الملوك في المنزلة ويساوون ذوي اليسار في نعيم العيش وامتلاك الضياع والقصور.فهذا سلم الخاسر ورث أباه مائة ألف درهم فأنفقها على الأدب وبقي لا شيء عنده فلقبه الجيران ومن يعرفه بسلم الخاسر، وقالوا:أنفق ماله على ما لا ينفعه، ثم مدح المهدي أو الرشيد وقد كان بلغه اللقب الذي لقب به، فأمر له بمائة ألف درهم، وقال له:كَذِّب بهذا المال جيرانك فجاءهم بها وقال لهم هذه المائة الألف التي أنفقتها وربحت الأدب فأنا سلم الرابح لا سلم الخاسر (الأصبهاني، د.ت، ج١٩، ص٢٧٧).

وقد كان لخلفاء هذه المرحلة بصر وخبرة بالشعر ومشاركة ومعرفة وحذق؛ فهذا المنصور يموت ابنه جعفر فتشتد به اللوعة ولا يجد سبيلا للعزاء غير قصيدة أبي ذؤيب الهذلي في رثاء ابنه ومطلعها:

أَمِنَ المَنُونِ ورَيْبِها تَتَوَجَّعُ والدَّهْرُ ليسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ